

الحلقة الثانية والثلاثون

سلسلة رمز وحقيقة

أنوار كاشفة

سفر النبي إشعيا (١)

المخلص المسيح

صديقي المستمع ، بانتهاء اللقاء الماضي نكون قد تأملنا ، بالعديد من أحداث وشخصيات العهد القديم من الكتاب المقدس . وكشفنا الكثير من الرموز التي أشارت إلى خطة الله الأزلية لخلاص الإنسان ، وإلى المخلص المسيح . وإبتداء من لقاء اليوم ننتقل إلى أسفار الأنبياء في العهد القديم . وهي التي تُشغل نحو ثلثي صفحات الكتاب المقدس . لكي نتأمل بالعديد من النبوءات ، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن ، وعن المخلص المسيح الآتي . فالنبوءة هي إعلان من الله للبشر ، ورسالة تحتوي على مقاصد الله الأزلية ، وخلاص الله الكامل والنهائي نحو الجنس البشري . وتتنبأ عن المخلص الآتي الذي سيحرر الإنسان ، ويدخله إلى ملكوت الله الأبدي .

وسنبدأ بأول أسفار الأنبياء كما وردت في الكتاب المقدس ، ألا وهو سفر النبي إشعيا . ويعني إسم إشعيا الرب يخلص . عاش النبي إشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد ، ويُعتبر من أعظم أنبياء العهد القديم . عاصر النبي إشعيا الملوك عزيا وأحاز وحزقيا من ملوك يهوذا . وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه مات منشورا بالمنشار ، تنفيذاً لأمر الملك منسى . ويُطلق البعض على إشعيا إسم النبي الإنجيلي ، نسبة للإنجيل . والسبب لكثرة ما احتواه سفره من نبوءات عن المسيح المخلص الآتي ، وخلاص الله الذي سيُعلن لجميع الشعوب . وقد كتب إشعيا سفره بأسلوب أدبي رائع ، يُعتبر أجمل ما ورد في العهد القديم .

يقسم الدارسون سفر إشعيا إلى قسمين رئيسيين . القسم الأول من الأصحاح الأول إلى الأصحاح التاسع والثلاثين ، وهو يحتوي على نبوءات متعددة عن الممالك ، التي كانت قائمة في ذلك الزمان ، ودينونة الله لها . وينبئ في نفس الوقت عن خلاص الله الذي سيعقب تلك الدينونات . والقسم الثاني من سفر إشعيا هو من الأصحاح الأربعين وحتى نهاية السفر في الأصحاح السادس والستين . ويطلق عليه البعض اسم سفر العزاء . والشخصية البارزة في هذا القسم هي شخصية عبد الرب المتألم المسيح ، الذي سيفدي الإنسان ويأتي به إلى المجد الأبدي . ويتحدث هذا القسم أيضا عن خلاص الله الذي سيُعلن بواسطته ، وعن عصر الكنيسة الذي سيأتي .

صوّر إشعيا في القسم الأول من سفره حالة المجتمع الفاسدة في أيامه ، وشر الإنسان الكبير . وأكد حتمية وقوع دينونة الله عليه . وتتنبأ عن دينونة الله التي ستقع على ممالك كثيرة معروفة في عصره . لكن إشعيا أشار في هذا القسم عن استعداد الله الكامل

لإنقاذ الإنسان ، إذا تاب وعاد إليه . وكشف عن خلاص الله الذي سيُعلن . وتتبا عن المسيح المخلص الآتي ، وكيفية ولادته ، ومركزه العظيم ، وأعماله الباهرة .

كشفت لنا نبوءة إشعياء إذن ، العديد من صفات وملامح شخص المسيح المخلص الموعود به. فهو أولا سيكون ذات طبيعة إلهية ، لأنه سيولد من عذراء ، وليس من زرع بشري ، على خلاف باقي البشر. أجل تتبا إشعياء في الأصحاح السابع من سفره العدد ١٤ ، عن ولادة المسيح قائلا : " ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل . " إن معنى كلمة عمانوئيل هو الله معنا ، أو في وسطنا . إن هذا الإبن الذي سيولد من العذراء، سيكون إذن هو حلول الله في وسطنا نحن البشر المذنبون. ولهذا أجاب الملاك جبرائيل العذراء مريم ، عندما تساءلت مستغربة ، كيف ستحبل وتلد ابنا وهي لا تعرف رجلا. أجابها قائلا: " الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله . " (بشارة لوقا:١:٣٥) إن تعبير ابن الله ما هو إلا تأكيد لحمل هذا الإبن للطبيعة الإلهية ، بالرغم من صيرورته بشرا .

أجل مستمعي العزيز ، لقد تنازل الله إلينا وحل في وسطنا ، عن طريق تجسد كلمته الأزلي العجيب ، بواسطة الروح القدس . ومن الواضح أن تعبير إبن الله لا يعني البتة أن الله تزوج ، وأنجب ولدا كما يظن البعض .

وفي نبوءة أخرى أورد النبي إشعياء عن المخلص المسيح الموعود به ، هذه الحقائق الهامة فقال : "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه . ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إليها قديرا أبا أبديا رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية ، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد . غيرة رب الجنود تصنع هذا. " (إشعياء ٩:٦ و٧)

إذن إن هذا الولد الذي سيولد ، سيكون عظيما جدا ، فهو الملك الوحيد المؤهل للرياسة . لا بل أن اسمه عجيب ، إذ يعني الله مخلص . وهو حقا كان عجيبا في ولادته وحياته وتعاليمه ، ومعجزاته الباهرة . وكان أيضا عجيبا في موته الكفاري ، وقيامته الظاهرة ، وعجيبا في صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الله الأب في مركز القوة والسلطان . وهو عجيب عندما يأتي في مجيئه الثاني الباهر ليملك إلى الأبد . وهو كمشير ، أعلن حكمة الله لنا نحن البشر الخطاة ، وصار حكمة من أجلنا . وهو نفسه الإله القدير المتجسد عمانوئيل كما لاحظنا. وكأب أبدي لا بد أن يخلص كل من يؤمن به ، ويهبه الحياة الأبدية . وهو أيضا رئيس السلام . أي ملك السلام الحقيقي ، الذي حقق السلام أولا بين الله القدوس والإنسان الخاطيء . وثانيا بين الإنسان وأخيه الإنسان ، إذ أزال التفرقة والتمييز بمختلف أنواعه بين البشر . وكملك السلام الحقيقي لن يكون لملكه نهاية . ولقد جلس المخلص المسيح على كرسي الملك داود ، الذي كان رمزا له ، كما لاحظنا في حلقات سابقة . وثبتت مملكته بالحق والبر ، اللذين هما أساس وقاعدة ملكوته .

لنلاحظ مستمعي أن الملاك جبرائيل قال للعدراء مريم عندما بشرها : " هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية . " (بشارة لوقا ١:٣٢) أي كرر الملاك جبرائيل في بشارته للعدراء مريم ، بولادة الطفل يسوع المسيح ، ما كان تنبأ به النبي إشعيا قبل مئات السنين ، وأكد تحقق نبوءته . لكن هل جلس المسيح على كرسي الملك داود ؟ ومتى حصل هذا الأمر ؟ أجابنا الرسول بطرس في عظته الأولى بعد حلول الروح القدس على التلاميذ ، عن هذه التساؤلات . إذ أكد أن المسيح جلس على كرسي داود بقيامته المجيدة ، وصعوده حيا إلى السماء ، وأنه أصبح عندها ربا ومسيحا .

وفي نبوءة أخرى تنبأ النبي إشعيا أن هذا المخلص الموعود به ، أي المسيح ، سيكون من نسل داود . فقال : " ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب . " (إشعيا ١١: ١و٢) كان يسي هو والد الملك والنبي داود، وفعلا أتى المخلص المسيح ، من نسل داود ، وقد عرف بابن داود . ولقد امتلأ المخلص المسيح كما تنبأ إشعيا بروح الحكمة والفهم والمشورة والقوة والمعرفة ومخافة الرب .

وتنبأ النبي إشعيا عن خدمة المخلص المسيح بين جموع الشعب ، وتعاليمه الإلهية . وعجائبه الباهرة ، فقال : "الشعب السالك أبصر نورا عظيما ، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور . " (إشعيا ٩: ٢) لقد كان المخلص المسيح هو النور الحقيقي الذي أتى إلى العالم . ولهذا لم يكن غريبا أن يقول المسيح عن نفسه مرة : " أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة . " (بشارة يوحنا ٨: ١٢)

وفي نبوءة أخرى تنبأ النبي إشعيا على لسان المخلص المسيح قائلا : " روح الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين ، أرسلني لأعصب منكسري القلب ، لأنادي للمسيبين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق . لأنادي بسنة مقبولة للرب . " (إشعيا ٦١: ٢و١) ولقد أشار المخلص المسيح نفسه إلى هذه النبوءة ، في الأيام الأولى لخدمته . وذلك عندما قرأ هذه الآيات في مجمع الناصرة ، وأكد للمجتمعين : " إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم . " (بشارة لوقا ٤: ٢١) أجل مستمعي، لقد أتى المخلص المسيح لكي ينادي بالحرية الحقّة ، لكل إنسان مستعبد لقيود الخطية . ولكي يعطي الفرح والتعزية لكل إنسان متألم . وليبدأ عصرا جديدا هو عصر ملكوت الله ، ونعمة الله .

هذه هي بعض نبوءات سفر إشعيا عن المخلص الموعود به ، والتي تمتّ بحذافيرها في المخلص المسيح . فلما لا تؤمن صديقي بهذا الشخص الفريد العجيب ؟ والذي تنبأ عنه النبي إشعيا قبل مئات السنين .